

تقديم

مرت الولايات المتحدة، على قصر عمرها، بثلاث صحوات دينية (بروتستانتية) كبرى، كانت الأولى فى نهاية القرن الثامن عشر، والثانية فى القرن التاسع عشر، والأخيرة فى النصف الثانى للقرن العشرين، وما زالت فى قمتها حتى اليوم.

توج الصحوة الثالثة، وصول رئيس إيثانجليكى - إن لم يكن أصوليًا - إلى البيت الأبيض، وأعيد انتخابه، بفضل الأصوات الإيثانجلكية التى تراوح تقدير تعدادها، بين ٤٠ إلى ٥٠ مليون صوت.

ولكن الوصول للبيت الأبيض لا يكفى فقد تعلم الإيثانجليكيون أن الرئيس كارتر - والذى واكب انتخابه إعلان عام الإيثانجليكى فى الولايات المتحدة - لم يلتزم بأجندتهم . . . ولا فعل ذلك الرئيس ريجان الذى أحلوه محل كارتر فى البيت الأبيض، فلم يستطع أن يساير أجندتهم بما يرضيهم . . . ذلك لأن الإيثانجليكيين لم يؤثروا بما يكفى على رأى العام، ولم يحوزوا وسائل الإعلام ولا مقاعد الكونجرس بدرجة كافية . . .

تعلم الإيثانجليكيون درسًا: الرئيس وحده لا يكفى . . .

فأصبحت لهم إمبراطورياتهم الإعلامية التى يشاهدها أكثر من مائة مليون أمريكى . . . وتتجاوز ميزانياتها بلايين الدولارات . . . وسيطروا على أغلبية الكونجرس! . . .

ليس هذا فقط . . . فقد خططوا للوصول أعضائهم للمحكمة الدستورية العليا . . .
وجاءوا بكبير قضاة مثل رنكوست الذى يقول :
الحائط الفاصل بين الكنيسة والدولة استعارة مبنية على تاريخ سيئ، وأثبتت فشلها
كمرشد فى القضاء . . . فيجب التخلّى عنها بصراحة وشكل واضح (*) .
كذلك جاءوا بوزير عدل مثل جون أشكروفت .
ولكن من هو الإيقانجليكى؟
هو پروتستانتى يعتقد فى الآتى :
* الكتاب المقدس ، معصوم من الخطأ ، ويجب تفسيره حرفياً .
* يفوز بالخلاص من يؤمن بالمسيح ، الذى صُلب - افتداءً للبشر من الخطيئة الأولى -
وقام من الأموات بعد صلبه .
* أهمية التحول الروحى فى الحياة ، بالميلاد من جديد ، أو الميلاد ثانياً «born again» .
* أهمية التبشير ، لتنصير باقى الأمريكيين ، وتنصير العالم .
* المبعّى الثانى للمسيح ، على اختلاف فى متى يجيىء ؟ هل بعد أن يتسهيأ العالم
لذلك ، بصلاح العالم - طبقاً لرؤية إيقانجليكية - أم أنه يأتى لإصلاح العالم بعد
معركة هرمجدون ، طبقاً لرؤية إيقانجليكية أخرى ؟
قد يتساءل البعض . . . ولماذا يهمنى ذلك فى مصر والشرق الأوسط ؟؟
وماذا يمكننا عمله ، إذا كان ذلك يهمنى ؟
تنحصر الإجابة عن السؤال الأول فى المعتقدين الأخيرين للإيقانجليكيين

التبشير

نقتطف ما جاء فى جريدة الواشنطن تون پوست بتاريخ ٢٣ يونيه ٢٠٠٥م تحت عنوان
«الإيقانجليكيون يبنون قاعدة فى بغداد» :

(*) أصول التطرف - اليمين المسيحى فى أمريكا ، صفحة (٢٥٣) - من إصدارات مكتبة الشروق الدولية .

..... هي أول كنيسة معمدانية، من ضمن - على الأقل - سبع كنائس [إيقانجليكية] جديدة، تم بناؤها في بغداد في الستين الماضيتين

... يتحدى النشاط الإيقانجليكي - المدعوم من إيقانجليكي الغرب وغيرهم - هنا في [بغداد] الطوائف المسيحية الراسخة، ويثير شكاوى زعماء المسلمين والمسيحيين، الذين يرونه تهديداً للوضع القائم

..... عدد الإيقانجليكيين هنا [في العراق] ليس كبيراً ربما آلاف قليلة ضمن المسيحيين الذين يقدر عددهم بثمانمائة ألف والآن يرى قادة الكنائس أن الكنائس الإيقانجليكية الجديدة تمتلئ، ليس بالكثير من المسلمين المتحولين، ولكن من المسيحيين مثل توفيق [سهيلة توفيق الكاثوليكية الأصل]، الذين يبحثون عن تجربة جديدة في العبادة

..... ويقول رئيس أساقفة الكاثوليك في بغداد حنا سليمان: إن نيتهم تحويل المسلمين إلى المسيحية، برغم أن المسيحيين هنا لم يفعلوا ذلك وفي النهاية، سوف يغرون المسيحيين من الكنائس الأخرى

..... خلال الغزو الأمريكي عام ٢٠٠٣م، لم يخف الإيقانجليكيون الأمريكيون رغبتهم في مصاحبة القوات الأمريكية «محفظة السامري» منظمة الإغاثة الدولية التي يقودها فرانكلين جراهام [ابن بيلي جراهام]، الذي قال عن الاسلام «دين شر وشرير»، ومجلس الإرساليات الدولي لمؤتمر المعمدانيين الجنوبيين، وهما أكبر الطوائف البروتستانتية في أمريكا، كانا بين الذين أرسلوا البعثات التبشيرية ومساعدات الإغاثة

..... يخشى بعض العراقيين المسيحيين أن يعكّر الإيقانجليكيون الانسجام بين المسلمين والمسيحيين في العراق (*)

هرماجدون

طبقاً لتأويل نص رؤيا يوحنا - آخر كتب العهد الجديد - يرى زعماء الإيقانجليكيين

[Http://pqasb.pqarchiver.com/washingtonpost/access/857641421.html](http://pqasb.pqarchiver.com/washingtonpost/access/857641421.html) (*)

أنها معركة نووية يموت فيها عشرات أو مئات الملايين من البشر^(*)، لينجو المسيحيون المخلصون (الإيثانجليكيون) ومن يتحول للمسيحية من اليهود^(**)، وطبعاً كل ذلك حول القدس ومن أجلها.

أما إجابة السؤال الثاني، فذلك ما يحاول الدكتور محمد عارف تحليله، ووضع خطوط رئيسية له، وهو هنا يلقي بكثير من اللوم على المسلمين والحكومات الإسلامية، مع تفاؤله بحوار الحضارات وليس صدامها.

عادل المعلم

ديسمبر ٢٠٠٥م

(*) «وجمعت الأرواح الشيطانية جيوش العالم كلها في مكان يُسمى بالعبرية هرماجدون» الرؤيا - ١٦ : ١٦ .
«فديست المعصرة بالأرجل خارج المدينة، فانثقت منها الدم وجرى أنهاراً حتى إلى لجم الخيل، مسافة ألف وست مئة غلوة» [نحو ٣٣٠ كم] الرؤيا - ١٤ : ٢٠ .

(**) «لأن الرب نفسه سينزل من السماء حاملاً يدوى أمر بالتجمع، وينادي رئيس ملائكة، ويوق في بوق إلهي، عندئذ يقوم الأموات في المسيح أولاً . ثم إننا، نحن الباقين أحياء، نختطف جميعاً في السحب للاجتماع بالرب في الهواء . وهكذا نبقى مع الرب على الدوام» الرسالة الأولى إلى مؤمنى تسالونيكي ١٦ : ١٧ - ٤ .

المقدمة

على الرغم من أننى كنت ولزمن طويل ملاحظاً دقيقاً للمشهد الأمريكى الداخلى على مدى ثلاثة عقود من تدريسى لعلم الاقتصاد، من غير أن يمر يوم تقريباً دون أن أقتبس أمثلة من الولايات المتحدة وأنا أناقش القضايا الاقتصادية، فلم أتخيل قط أن اهتمامى بالاقتصاد السياسى سوف يقودنى فى يوم ما لكتابة مؤلف عن أمريكا. لقد بدأ الأمر برمته ببحث علمى بسيط لتحليل العلاقة بين أداء الاقتصاد الأمريكى ونتيجة انتخابات الرئاسة الأمريكية عام ٢٠٠٠م.

نشرت نتائج هذا البحث صحيفة «Intellectual Discourse» فى عددها الصادر فى يونيو عام ٢٠٠١م، وعلى الرغم من أن تلك النتائج قد أجابت عن سؤالى الأولى، فإنها أثارت العديد من الأسئلة الجديدة والمثيرة فى الوقت ذاته. وقد قادنى ذلك لتوسيع مجال بحثى. وخلال تلك الفترة، حدثت تراجيديا الحادى عشر من سبتمبر. لقد كان الأمر مشيراً للإزعاج والألم بالنسبة لى لدرجة أننى لم أستطع التركيز على البحث لفترة؛ لأنه بدا أن كل شىء قد أمنت به وعملت من أجله قد تحطم. ولأننى على معرفة بكل من أصدقائنا الأمريكيين، وزملائى المسلمين، فقد اعتقدت دوماً أنه مع انتشار التعليم والحرية فى العالم الإسلامى، فإن العلاقة بين المجتمعين سوف تنمو مع مرور الوقت. وحينما تراءى لى على نحو بطىء ما يتضمنه الحادى عشر من سبتمبر على المدى الطويل، فقد اتضح لى أننى كنت مخطئاً فى هذا الاعتقاد. فقد وجدت أن العلاقة بين العالم الإسلامى والولايات المتحدة (فيما عدا بعض الاستثناءات) لن تطور بشكل ذاتى الحركة بمرور الوقت؛ لأنه برغم أن كلا المجتمعين يتواجد جنباً إلى جنب من الناحية الزمنية، على المقياس الزمنى للتطور الخلاق للحضارة، فإنهما فى الحقيقة قطبان منفصلان فى العديد من المجالات المهمة. إذا سمح للاتجاهات الجارية بالاستمرار فإن هذا الوضع لا يمكن أن يتحسن.

وبهذا القدر من الفهم، أدركت أن العلاقة بين الحضارتين ستتحسن فقط حينما نبذل جهداً إضافياً إيجابياً في مساعدة الحضارتين لكي تفهم كل منهما الأخرى بشكل أفضل. بكلمات أخرى، هناك حاجة لبناء جسور التفاهم بين كلتا الحضارتين. أعطت وجهة النظر هذه معنى جديداً لبحثي، وشعرت أنه قد يكون بالفعل مفيداً جداً فيما يتعلق بصلته الوثيقة لمساعدة العالم الإسلامي وفهم موقعه ودوره فيما يخص الولايات المتحدة في العالم المعاصر.

في الحضارة الإسلامية المعاصرة، لا يوجد بالكاد أى تراث لدراسة «الآخر». ولأن هذا الكتاب هو من المحاولات الإسلامية المعاصرة القليلة لدراسة أمريكا بشكل علمي، فإنني أخذت على عاتقي عبئاً ثقيلاً في تحديد المنهج الخاص به ونغمة الخطاب. كان هناك خيار سهل متاح، وهو اتباع طريق المستشرقين، حيث أصبح المنهج الاستشراقي تراثاً غريباً بارزاً عند التصدي لدراسة «الآخر». على الرغم من ذلك فقد رفضته لأسباب ثلاثة: أنه من وجهة النظر الإسلامية غير أخلاقي وغير عادل، حيث تضرب جذوره في محاباة موروثه وكرهية «للآخر». وثانياً، لأنه منهج غير علمي. وثالثاً لأنني أردت أن أبدأ منهجاً علمياً وعادلاً بالنسبة لكلتا الحضارتين، منهجاً يطور طريقاً بنائياً لحل القضايا التي نواجهها بشكل سلمي. أمل أن يتطور هذا المنهج العلمي أبعد من ذلك مع إسهام وعطاء أساتذة آخرين؛ وذلك لأنه يمتلك القوة الكامنة الحقيقية لبناء الجسور بين حضارتينا. ولهذا، فإن هؤلاء الذين كانوا يأملون، بصفتي مسلماً، أنني سوف أبنى معياراً قاسياً لانتقاد أمريكا، سيصيبهم الإحباط. بالإضافة لذلك، حاولت أيضاً أن أقوم بتعريف المجالات التي يظهر فيها ضعف الحضارة الإسلامية في فهم المجتمع والنظام الأمريكي، مسببة بذلك مشكلات لنفسها. إنني لا أدعي امتلاك معرفة غير محدودة، ومن المحتمل أن لا يتفق معي بعض الأشخاص. ولذلك، إذا أخطأت في بعض الأحيان في تفسيرى أو في عرضى للحقائق، فسوف أكون ممتناً لمن يقوم بتزويدي بالمعلومات الصحيحة، حيث إنه من المطلوب من كل منا أن يبذل جهداً في تصحيح الخطأ. إن هذا كفيلاً بأن يجعلنا نعيش في عالم أفضل.

أنتهز هذه الفرصة لأشكر الأستاذ ظفر أفاق أنصاري، المحرر السابق لصحيفة الخطاب الفكرى «Intellectual Discourse»، والأستاذ ظفر إسحاق أنصاري، المدير العام لمعهد البحوث الإسلامية في إسلام آباد، اللذين قاما بتشجيعي لاستكمال هذا

البحث . والدكتور سعيد م . سيد رئيس الجمعية الإسلامية لشمال أفريقيا ، الذى أكد أيضاً على أهمية هذا العمل . كما أننى أدين بالشكر لزملائى الدكتور مهد أسلام حنيف والدكتور إشتياق حسين ، اللذين راجعا فصولاً متنوعة وأمدانى بتعليقاتهما . كما أتوجه بالشكر أيضاً لفهم ومساندة الأستاذ الدكتور منصور حاج إبراهيم ، دكتور رقية ألافى ، الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، والدكتور ماليا سليمان ، وكل أعضاء كلية الاقتصاد وعلوم الإدارة ، بالجامعة الإسلامية الدولية بماليزيا . كما قام الأستاذ الدكتور محمد كمال حسن عميد الجامعة بتشجيعى ، وعبر عن اهتمامه بنشر هذا العمل . إننى أيضاً مدين بالشكر للسيد عدنان هولدن لتحريره هذا الكتاب ، على الرغم من أننى أضفت الكثير من النصوص بعد تحريره للكتاب ، ولهذا إذا كان هناك أى ضعف فإنه يرجع لى وحدى . كما أعترف بامتنان بفضل المساندة المالية لهذا العمل من مركز البحوث بالجامعة الإسلامية الدولية بماليزيا . لقد كنت محظوظاً أيضاً بعملى مع أمين الإسلام ، خريج قسم الاقتصاد ، وهو مساعد باحث كفاء يمكن الاعتماد عليه ، وقد بذل مجهوداً فى جمع ومعالجة البيانات . إن المساعدة التى قدمها لى خريجو قسم العلوم السياسية أزاها نأزاد وسمولو إديب كانت ذات أهمية بالغة . وبأخذ مسئولياتى فى حقل التدريس والتزاماتى الإدارية فى الاعتبار ، فإن العمل لم يكن من الممكن إنجازه سوى بالإدارة القديرة لقسمى التى قام بها مساعدى محمد عبد اللطيف ، والذى تحمل بشكل إيجابى عدداً من المسئوليات . لقد كنت بالفعل محظوظاً بعملى مع حاج ب . ك كويا كوتيو وفريقه ، ومن بينهم فايز . ج . فتوحى ، الذين قدموا لى خبرتهم المهنية التى جعلت من عملية النشر كلها أمراً ميسوراً بالنسبة لى . وحيث إن الكتاب سيقدم فى الاجتماع الواحد والأربعين للجمعية الإسلامية لشمال أمريكا (إسنا) الذى سينعقد فى شيكاغو فى الفترة من ٣-٦ سبتمبر ٢٠٠٤م فإننى أعجل بدفعه إلى المطبعة . إن كان هناك أوجه عدم كفاية ، فإننى أمل أن يغفر لى القارئ للسبب الذى ذكرته . إن أى خطأ أو إغفال ، على الرغم من ذلك ، قد تم بشكل غير متعمد ، وعلى مسئوليتى الخاصة .

محمد عارف

الجامعة الإسلامية فى ماليزيا

e-mail: arif 2100 @yahoo.com